

مقاربة معرفية لاضطراب اللغة في متلازمة العمه اللغوي

د. حدي محمد،

د. بولجراف بختاوي،

كلية العلوم الاجتماعية،

جامعة وهران،

ملخص

إن العمل الذي نقدمه هنا هو دراسة قاعدية اعتمدنا فيها على الملاحظة ذات الطابع الإكلينيكي. تعلقت هذه الدراسة بـ 15 حالة مصابة بضرر مخي نتج عنه عمه لغوي (Aphasie). قدمنا لهؤلاء المرضى اختبارات إجرائية منطقية (épreuves opératoires delogique élémentaire) ولاحظنا سلوكياتهم أثناء أدائهم هذه المهام. وقد مكنا هذا أن نرى كيف يسلك المعموه لغويا (aphasique) أمام هذه الاختبارات وأن نرى ما إذا كانت اضطرابات اللغة قد أدت إلى فقدان موازن ذي تسلسل معكوس لمراحل التفكير الإجرائي (stades de la pensée opératoire) التي وصفها بياجيه عند الطفل.

Résumé :

Approche cognitive du trouble du langage dans le syndrome aphasique

Le travail que nous présentons ici est une étude de base d'ordre clinique concernant 15 malades neurologiques dont l'atteinte cérébrale a provoqué une APHASIE. Nous avons proposé à ces malades des épreuves opératoires de logique élémentaire et observé leurs conduites adoptées lors de la résolution de ces épreuves.

Cela nous a permis de voir comment un aphasique se comportait devant ces tâches et si les troubles du langage n'avaient occasionné une perte parallèle et chronologiquement inversée des stades de la pensée logique opératoire décrits par Piaget chez l'enfant.

مقدمة

إن موضوع العلاقة بين اللغة والنشاط الذهني لا يزال ميدانا حيا للبحث، بحيث أن النتائج العديدة التي وصل إليها الباحثون لا يزال البعض منها في وضع فرضيات قامت عليها نظريات مختلفة جعلت الباحثين في هذا الميدان ينقسمون بآرائهم ومواقفهم حول الموضوع إلى اتجاهات مختلفة أحيانا ومتعارضة أحيانا أخرى.

فمن الباحثين من يرى عدم وجود فكر بدون لغة، ومنهم من يقول إن اللغة ماهي إلا أداة للتعبير عن الفكر وبالتالي ليست ضرورية لوجود الفكر وتكوينه، ومنهم من يتبنى فكرة العلاقة الجدلية بين الفكر واللغة ويقر بأن

ظهور اللغة عند الطفل من شأنه أن يدعم وينمي اكتساب العمليات الذهنية لديه.

فالمسألة إذن بالنسبة لعلاقة اللغة بالنشاط الذهني تبدو معضلة في غاية الصعوبة نظرا لعدم وجود اتفاق بين الباحثين حولها، وهي بذلك تبقى في دائرة الإشكالية التي تستدعي المزيد من البحوث العلمية للإجابة عن تساؤلاتها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تركز على جانب مهم من جوانب الاضطرابات اللغوية الذي يعتبر وسيلة هامة للكشف عن العلاقة بين اللغة والنشاط الذهني ألا وهو العمه اللغوي (Aphasie) خاصة وأن الدراسات التي اهتمت بهذه العلاقة تناولت الموضوع بشكل عام، في حين أن هذه الدراسة وعن طريق الملاحظة المباشرة اهتمت بالسلوك الاجرائي لدى المعموه لغويا وهو يؤدي اختبارات منطقية إجرائية بغية التعرف عن ما إذا كان الاضطراب اللغوي الذي يعاني منه المعموه لغويا يؤثر على أدائه لهذه الاختبارات أم لا.

وكان التركيز خلال ملاحظة هذا الأداء منصبا على العمليات الإجرائية المنطقية الأولية (opérations logiques élémentaires) لأنها تعتبر هي الأولى التي تظهر عند الطفل خلال نمو فكره الإجرائي الذي يسمى بالفكر الاجرائي الملموس (pensée opératoire concrète)، وهو فكر له علاقة باكتساب اللغة كما يذهب إلى ذلك بياجى (1967).

فاللغة حسب بياجى تدعم عند ظهورها هذا الفكر لدى الطفل، وتنمي قدراته العقلية والمعرفية، وتدفعه إلى توسيع مداركه وتنشيطها بشكل متواصل حتى ولو كان اكتسابها غير كاف لظهور هذا الفكر، ومع ذلك يبقى هذا الاكتساب شيء ضروري وعامل مدعم لنمو الفكر الاجرائي ككل (بياجى 1967).

وقد تم اختيارنا لهذا النوع من الاضطراب اللغوي وهو العمه اللغوي لسببين إثنين:

أولاً: كون العمه اللغوي اضطراب ناتج عن ضرر دماغي متمركز في منطقة اللغة وليس ثانوي لعجز ذكائي (déficit intellectuel)، أو اضطراب وظيفي (trouble fonctionnel).

ثانياً: وجود خلافات بين الباحثين كما أسلفنا فيما إذا كان العمه اللغوي اضطراباً لغوياً لسانياً خالصاً أو اضطراباً ذكائياً معرفياً كما ذهب إلى ذلك

بيار ماري (Pierre Marie 1926)، وكولشتاين (Goldstein 1933) واللدان اعتبروا العمه اللغوي اضطرابا ذكائيا لا غير.

حدود الدراسة:

- تتحدد نتائج هذه الدراسة بالأداة المستخدمة ومجتمع الدراسة المكون من المرضى المصابين بضرر مخي المفضي إلى العمه اللغوي.
- افتقارها للأدبيات والدراسات السابقة (التتظير) المتعلقة بموضوع الدراسة.

إشكالية الدراسة:

تتمثل مشكلة البحث الراهن في الكشف عن ما إذا كان العمه اللغوي اضطراب لغوي خالص أم يؤثر على العملية الذهنية بأكملها وهل العمه اللغوي يؤثر سلبا على الذكاء الإجرائي؟
للإجابة على هذا السؤال نضع الفرضية التالية:

فرضية الدراسة:

يؤثر العمه اللغوي سلبا على العمليات الذهنية الإجرائية الأولية.
(Elémentaires)

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من 15 حالة مصابة بضرر مخي ينتج عنه عمه لغوي، 10 ذكور و5 إناث تراوحت أعمارهم بين 20 و60 سنة. لم يكن عامل المستوى التعليمي مهما في انتقاء الحالات نظرا للتمارين التي تضمنتها الاختبارات المستخدمة في هذه الدراسة وهي تعلقت بمستويات إجرائية أولية جرى اختيار هذه العينة وفق خاصيتين اثنتين:

- وجود إصابة دماغية ثانوية لحادث وعائي دماغي في منطقة اللغة (Accident Vasculaire Cérébrale).

- الحادث الوعائي يجب أن يكون من طبيعة انسدادية أو تجلطية وعائية.

منهج الدراسة وأدواتها:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات والبيانات عن الظاهرة المدروسة ووصف النتائج الصادرة عن الدراسة وفق أهدافها ومن ثم تحليل هذه النتائج وتفسيرها.
وتشكلت أداة البحث من مجموعة من الاختبارات تحتوي كل منها على تمارين إجرائية منطقية وهي على مجموعتين:

- المجموعة الأولى: تمثلت في عملية الترتيب (sériation).

- المجموعة الثانية: تمثلت في عملية التصنيف (classification).

ووظف هذان المفهومان وفق ما جاء به بياجى في نظريته التكوينية المتعلقة بنمو الذكاء عند الطفل.

إجراءات التطبيق:

تم إجراء الاختبارات بطريقة فردية حيث كانت التعليمات تعطى للحالة حسب مستوى فهمها للغة وفي بعض الأوقات كنا نلجأ إلى الإشارات عندما يكون مستوى الفهم الشفوي مضطربا عند المريض.

نتائج الدراسة:

ما يمكن استنتاجه من تحليلنا للملاحظات الإكلينيكية - تمرين بعد تمرين وحالة بعد حالة - هو أن هناك اضطراب في التفكير الإجرائي (pensée opératoire) عند المعموه لغويا، بحيث أنه لم تتحصل أية حالة على النقطة الكاملة المنتظرة وأن نتائج بعض هذه الحالات كانت ضعيفة جدا.

وقد مكنتنا النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الملاحظات من الادلال بما يلي:

1- تبنت بعض الحالات سلوكات إجرائية قريبة جدا من المراحل التكوينية (stades génétiques) التي وصفها بياجى في سلم الذكاء عند الطفل.

2- لاحظنا من خلال سير الاختبارات أن المعموه لغويا يمكنه أن ينتمي إلى مراحل مختلفة من سلم بياجى للذكاء بحيث أننا نراه ينجح في التمرين متجاوزا الصعوبات الإجرائية التي يحتوي عليها هذا التمرين ثم يرسب في تمرين آخر متبنيا سلوكات تابعة لمرحلة أقل من المرحلة التي يناسبها التمرين. وتفسير ذلك يعود حسب اعتقادنا إلى نوعية الاختبار أو المستوى المعرفي الذي يتضمنه الاختبار.

3- الصعوبات الإدراكية عند المعموه لغويا لها آثار سلبية على أدائه لبعض الاختبارات ومنها اختبار التصنيف بسبب المضمون المعقد لها.

4- كثرة المعلومات أو قلتها لها آثار قد تكون سلبية أو إيجابية باختلاف الحالة وقد تشوش أو تعرقل كثيرا المعموه لغويا في أدائه نشاطا إجرائيا.

5- كثرة المعايير في اختبارات التصنيف تشكل صعوبة لدى المعموه لغويا في التمييز بينها في حل الاختبار.

6- السلوكيات المماثلة لسلوكيات الطفل عند بعض الحالات لا تترجم في نظرنا إلا سلوك نكوصي مؤقت قابل للعلاج عن طريق تأهيل لغة المعموه لغويا وبطريقة أرتومعرفية (orthocognitive) كما سنبينه بالتفصيل في مقال لاحق.

7- ما يمكن التركيز عليه أيضا وبصورة عامة من خلال النتائج هو العلاقة الموجودة بين تمركز الضرر الدماغي (localisation lésionnelle) والنتيجة التي حصل عليها المعموه لغويا. ومن هنا نستطيع القول أن نوع العمه اللغوي يؤثر على الأداء الدماغي بحيث أن أضعف النتائج كانت عند الحالات المصابة بضرر دماغي جبهوي (lésion frontale) نتج عنه عمه لغوي أمامي (aphasie antérieure) وأحسن نتائج كانت عند الحالات المصابة بضرر دماغي صدغي (lésion temporale) نتج عنه عمه لغوي خلفي (aphasie postérieure).

خاتمة:

نخلص من هذه الدراسة أنالمعموه لغويا نظرا للصعوبات الإدراكية الناجمة عن هذا الاضطراب اللغوي الذي يعاني منه قد يجد صعوبة كبيرة في أدائه نشاطا فكريا إجرائيا معينا. فالمعموه لغويا يعاني من عجز معرفي يمس الجانب الإجرائي للذكاء فقط و ليس عجزا ذكائيا شاملا (Déficit Intellectuel Global) كما أشار إلى ذلك كولدشتاين وبيارماري. ونؤكد في الأخير أن نتائج هذه الدراسة كانت بفضل استخدامنا للاختبارات المناسبة والملاحظات العيادية التفصيلية والمباشرة التي بدونها لا يستطيع الباحث في هذا الميدان متعدد التخصصات أن يتوصل إلى كنه وحقيقة هذه الظاهرة التي تتطلب في الواقع تضافر جهود المختصين في هذا المجال كطبيب الأعصاب والعصبنفساني واللساني والأرطفوني (Linguiste, Neuropsychologue, Neurologue, Orthophoniste).

المراجع:

- AJURIAGUERRA, J. De, REBELLET-MULLER, M. ET TISSOT, R., (1964), *A propos de quelques problèmes posés par le déficit opératoire des vieillards atteints de démence dégénérative en début d'évolution*, CORTEX, Vol. 1, Paris.
- ALAJOUANINE, Th. (1965), *Sur l'état intellectuel des aphasiques*, Revue du praticien, 17, 2325-2332, Paris.
- GOLDSTEIN, K. (1933), *L'analyse de l'aphasie et l'étude de l'essence du langage*, Journal de psychol. Norm. Et path. 430-495.Paris.

HADBI M. (1981), Essai d'une approche des conduites opératoires chez les malades aphasiques, Thèse de doctorat 3^{ème} cycle, sous la direction de Jean SIMON, Toulouse.

INHELDER, B. et SOTIS, E. (1962), Observations sur les aspects opératifs et figuratifs de la pensée chez les enfants dysphasiques. Problèmes de psycholinguistique, PUF, Paris.

INHEDER, B. et PIAGET J. (1955), De la logique de l'enfant à la logique de l'adolescent, PUF, Paris.

JAULIN-MANNONI, F. (1973), Pédagogie des structures logiques élémentaires, ESF, Paris.

JAULIN-MANNONI, F. (1973), L'apprentissage des sériations, ESF, Paris.

OMBREDANE, A. (1951), L'aphasie et la pensée explicite, CNRS, Paris.

PIAGET, J. et INHELDER, B. (1967), La genèse des structures logiques élémentaires, Neuchâtel, Delachaux, 2^e Ed.

PIAGET, J. et INHELDER, B. (1963), Les opérations intellectuelles et leur développement, in Fraisse, P. et Piaget, J. Traité de psychologie expérimentale, T. VII, 109 – 155, PUF, Paris.

SINCLAIR de ZWART, H. (1973), Acquisition du langage et développement de la pensée, Dunod, Paris.

TISSOT, R. et Coll. Etat intellectuel des aphasiques, Extrait de l'Encéphale, 4, 285-320, Paris, 1963.